تاريخ الارسال:٢٠١٨/٠٧/١٤
تاريخ القبول:٢٠١٨/٠٨/٢٧

أنماط السلوك المنحرف لدى الأحداث الجانحين

– دراسة ميدانية مقارنة داخل وخارج مركز إعادة التربية للبنات البليدة–

د/ بوزار يوسف

جامعة لونيسي علي البليدة–2–

ملخص:

المجتمع الجزائري يعاني من استفحال ظاهرة جنوح الأحداث مثل باقي مجتمعات العالم، نتيجة للتغير الاجتماعي السريع الذي مسه، على مختلف الأصعدة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وما نتج عنه من تغير في سلم القيم، وبروز ظواهر جديدة كانت أقل انتشارا مما هي عليه الآن، وتراجع دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في عملية ضبطها لسلوكيات أفردها، كل ذلك ساهم في انتشار هذه الظاهرة، سواء من حيث الكم متمثلا في زيادة عددهم، أو من حيث الكيف من خلال تنوع وخطورة السلوكيات المنحرفة والإجرامية التي يرتكبونها.

الكلمات المفتاحية: انحراف؛ الحدث؛ انحراف الأحداث؛ جنوح الأحداث؛ التنشئة الاجتماعية.

Abstract:

Algerian society suffers from the phenomenon of juvenile delinquency such as the rest of the world's societies, as a result of the rapid social change that has taken place at different social, cultural, economic and political levels, resulting in a change in the values ladder, the emergence of new phenomena which were less widespread than now, and the decline in the role of socialization in the process of controlling the behavior of their members, all contributed to the spread of this phenomenon, both in terms of quantity represented in the increase in number, or in terms of quality through the diversity and seriousness of deviant behavior and criminal committed.

Key words: delinquency; deviation; juvenile delinquency; socialization.

مقدمة:

يعد الحدث المنحرف اليوم مجرم الغد بنسبة كبيرة إذا لم يتم التكفل به على جميع الأصعدة الاجتماعية والنفسية، وكذا الحماية القانونية لهذه الشريحة الهامة من المجتمع، والذي يعتبر إعادة تأهيلها وإدماجها اجتماعيا مسؤولية تتحملها على عاتقها مؤسسات أوجدها المجتمع خصيصا لذلك، وعلى رأسها مراكز إعادة التربية والتأهيل المنتشرة في مناطق مختلفة من الوطن، والتي تستقبل أحداث منحرفين تخضعهم لبرامج تأهيلية مدروسة قصد تعديل سلوكهم وتأهيلهم اجتماعيا، ولكن درجة تجاوب وتأثر الأحداث لهذه البرامج مختلف، وهو ما يظهر من خلال تمرد البعض منهم على المربين داخل المركز، ورفضهم للمشاركة في البرامج والنشاطات، بل أن البعض منهم يتعلم سلوكيات منحرفة جديدة، وهذا مكمن الخطورة، ونحاول فيما يلي استعراض السلوكيات المنحرفة التي قام بها أفراد العينة محل الدراسة خارج المركز وداخلة، وتحليل وتفسير أسباب قيامهم بذلك.

1- تحديد المفاهيم.

_ مفهوم الانحراف: لقد تعددت الآراء والأفكار في تحديد ماهية الانحراف وأسبابه ونتائجه، وهذا بسبب اختلاف الثقافات الاجتماعية، فما قد يكون سلوكا منحرفا في مجتمع ما، هو سلوك عادي في مجتمع آخر، ذلك أن" المجتمع هو الذي يحدد ماهية السلوك العادي، وماهية السلوك المنحرف الإجرامي، وفقا لقيمه ومعاييره"[1]، ويعرف الانحراف من الناحية الاجتماعية بأنه:" ذلك السلوك غير المتوافق مع السلوك الاجتماعي السوي"[2]، إذن هو السلوك الذي يقوم به الفرد، ويكون خارج على ما اتفقت عليه الجماعة من قيم ومعايير ونقصد به كل سلوك يتضارب مع المعايير المتفق عليها، والمنظمة للحياة الاجتماعية، كما أن الانحراف ظاهرة مرتبطة بعامل الخصوصية، فتحديدها يختلف من مجتمع لآخر.

– مفهوم الحدث: يعرفه علماء النفس والاجتماع بأنه، الصغير طوال مراحل عمره، التي تبدأ منذ الولادة وحتى يتم له النضج النفسي والاجتماعي، وتتكامل عناصر الرشد[3]، وبذلك فالحدث هو صغير السن الذي لم يصل إلى سن الرشد للتمييز بين الخطأ والصواب، وفي المجتمع الجزائري يعتبر "حدث "كل فرد سنه أقل من 18 سنة.

– مفهوم انحراف الأحداث: يشير هذا المفهوم إلى الجرائم التي يرتكبها الأطفال والمراهقون الذين لم يبلغوا سنا معينة، وتختلف هذه السن تبعا لاختلاف المجتمعات، ولكن في أغلب الأحوال تقل أو تتراوح السن ما بين 16 أو 18 سنة[4]، كما يعرف الحدث المنحرف على أنه الصغير طوال مراحل عمره، التي تبدأ منذ الولادة وحتى يتم له النضج

---

(1) سامية حسن الساعاتي، **الجريمة والمجتمع**، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1982، ص 14.

(2) محمد طلعت عيسى، **الرعاية الاجتماعية الأحداث المنحرفين**، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، 1998، ص18.

(3) فتيحة كركوش، **ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، ص 08.

(4) نفس المرجع، ص 14 .

النفسي والاجتماعي، وتتكامل عناصر الرشد، ويقوم خلال هذه الفترة من عمره بسلوكيات خارجة عن المعايير التي ترتكز عليها جماعته، ومن هذا المنظور هو ضحية ظروف سيئة اجتماعية كانت أو اقتصادية أو صحية أو ثقافية "[1]، فالحدث المنحرف هو الفرد الذي لم يبلغ سن الرشد، ويقوم بسلوكيات مضادة للمجتمع، خارجة عن معاييره وقيمه، وعليه فالحدث المنحرف، هو القاصر الذي ابتعد عن المعايير والضوابط المتفق عليها داخل بيئة اجتماعية وثقافية معينة.

2- العوامل المؤدية لانحراف الأحداث.

يكاد يجمع علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الإجرام وغيرهم أن الانحراف هو نتيجة تفاعل عوامل عديدة، إلا أن البعض منهم ركز على عوامل دون الأخرى، وفيما يلي نحاول التعرف على أهم العوامل التي تؤدي بالفرد إلى القيام بسلوكيات منحرفة:

2_1_ العوامل الفردية (الذاتية):

– الوراثة: وتعني انتقال خصائص الأصل إلى الفرع عن طريق التناسل، سواء كانت جسمية أو نفسية[2].

ويسلك الباحثون في علم الإجرام العديد من الطرق لإثبات أن السلوك الإجرامي مورث، ومن أهم هذه الأساليب نجد: فحص شجرة العائلة، التشابه في نوع الجريمة بين الآباء والأبناء وبين الإخوة، دراسة التوائم.

– العوامل العضوية: يقصد بها العوامل التي لها علاقة بوظائف الأعضاء والأنسجة والأجهزة المختلفة التي يتكون منها جسم الإنسان، سواء خارجية كشكل الجسم والرأس...إلخ، أو داخلية كالمخ والغدد ...إلخ وعلاقتهم بظاهرة الانحراف.

– الجنس: الشائع أن الإناث أقل إجراما من الذكور، وأقل منهم عنفا في استعمال وسائل القتل، وقد يعود ذلك إلى اعتبارات ثقافية واجتماعية، وإلى الطبيعة الأنثوية أيضا، والسبب في هذا الاختلاف في مجال الجريمة يعود إلى سببين بارزين هما: السبب الأول بيولوجي مرتبط بالتكوين النفسي والعضوي، فإن أقدمت الأنثى على ارتكاب جريمة ما فلا يكون ذلك إلا تحت ظروف خاصة، من ثمة كان إجرامها قليلا، السبب الثاني هو ابتعاد المرأة عن الحياة العامة، وقلة احتكاكها بالناس، فقد لاحظ تقرير حديث للأمم المتحدة أنه بقدر ما تساهم المرأة في الحياة الاقتصادية بقدر ما ترتفع نسبة إجرامها[3].

2_2_ العوامل الاقتصادية:

يتأثر انحراف الأحداث بدرجة التطور الاقتصادي والاجتماعي، فيكون للعوامل الاقتصادية تأثير في انحراف الأحداث وإجرامهم، عندما تكون أسرهم تعاني من الفقر أو الدخل الضعيف، وأمام هذا الوضع تكثر المشاكل داخل هذه الأسر بسبب

---

[1] جلال الدين عبد الخالق، **الجريمة والانحراف الحدود والمعالجة**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 15.

[2] علي محمد جعفر، **الإجرام وسياسة مكافحته**، بيروت، دار النهضة العربية، 1993، ص 48.

[3] فتيحة كركوش، مرجع سابق، ص 56.

عدم قدرة الأب على تلبية الحاجات الأساسية لأسرته، فيضطر الأحداث في سن مبكرة إلى البحث عن أعمال هامشية من أجل مساعدة أهاليهم ماديا، وقد يؤثر ذلك على تحصيلهم الدراسي فيتوقفون عن الدراسة أو يطردون منها، فنجد هؤلاء الأحداث يقومون بأعمال مثل بيع السجائر، أو بيع الحلويات في الأسواق، أو بيع بعض المنتجات المنزلية على قارعة الطريق، أو يعملون كحمالين في الأسواق، وهذا من شأنه أن يجعلهم يختلطون بأشخاص منحرفين، يتعلمون منهم السلوكيات المنحرفة كالتدخين وتعاطي المخدرات، وربما يتم استغلالهم من قبل بعض العصابات في أعمالهم الإجرامية، كترويج المخدرات، وعمليات السطو والسرقة.

كما أن طبيعة السكن الذي يقطن فيه الأحداث له دور في انحرافهم فإذا كان هذا المنزل ضيق، وعدد أفراد الأسرة كبير، وتنعدم فيه أدنى شروط الحياة الكريمة، ويقع في حي قصديري مثلا، كل هذه المواصفات تدفع بالحدث إلى عدم قضاء وقت كبير داخل المنزل، وبالتالي يفضل قضاء معظم أوقاته خارجه، أي في الشارع أين يحتك بمختلف شرائح المجتمع، فيمضي وقته مع جماعة الرفاق التي قد تكون منحرفة، فتشجعه على القيام بسلوكيات مضادة للمجتمع.

2_3_ العوامل الاجتماعية:

– **الأسرة:** نبدأ بالأسرة على اعتبارها المجتمع الأول الذي يقع عليه واجب رعاية الطفل، ذلك أن علاقات الطفل بوالديه تلعب دورا رئيسيا في تنشئته وحمايته من عوامل الانحراف الكثيرة، التي قد تحيط به من كل جانب في مجتمعه الخارجي[1]، فإذا كانت الأسرة سوية تنشأ طفلها على احترام قيم ومعايير المجتمع، ويكون في هذه الحالة الحدث بعيدا عن الانحراف، أما إذا كانت الأسرة غير سوية تتميز بالانحلال الخلقي لأفرادها، واعتيادهم الإجرام، وتعاطيهم للمخدرات، وعدم احترامهم قيم ومعايير المجتمع، مع إتباع الوالدين أساليب خاطئة في تنشئة أطفالهم مثل أسلوب القسوة والتسلط، فإن هذا الحدث يعيد إنتاج نفس السلوكيات المنحرفة التي اكتسبها من بيئته الأسرية.

– **الوسط المدرسي:** تعتبر المدرسة أول تجربة اجتماعية كبرى يعيشها الفرد، ومن وظائفها جعل الطفل يسلك سلوكا سويا في المجتمع من خلال تزويده بآليات السلوك الاجتماعي، والضوابط السلوكية، غير أنه قد لا يروق للبعض من التلاميذ التواجد في بيئة المدرسة، التي تعد بالنسبة لهم مصدرا للتوتر والضغط النفسي والصراع، الدالة على عدم التوافق، ليدفع هذا الوضع بالحدث إلى أن يسلك سبيل الانحراف[2]، وذلك من خلال تسربه من المدرسة في سن مبكرة مع تحصيل دراسي ضعيف لا يضمن له إيجاد عمل مناسب له مستقبلا، مما يدفعه إلى القيام ببعض الأعمال البسيطة لكسب المال، أو الانخراط في عصابات إجرامية تتخذ مختلف أنماط الجريمة وسيلة لها لكسب المال.

---

(1) فتيحة كركوش، مرجع سابق، ص 40 .

(2) عبد القادر قهوجي، **علم الإجرام وعلم العقاب**، الإسكندرية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، 1987، ص 76.

– جماعة الرفاق: جماعة الرفاق لا تكون بيئة إيجابية للفرد دائما، إذ يمكن أن تكون جماعة الرفاق بيئة سلبية سيئة، يتعلم فيها الفرد أنواع السلوك المنحرف، ويتعلم فيها أساليب وتقنيات الانحراف، ويتدرب من خلالها على آليات الجنوح، والخروج عن القيم الاجتماعية والأخلاقية السائدة، والتي لا تعبر عن استواء الشخصية واتزانها، فالكثير من الانحرافات لدى الشباب يتعلمونها من زملائهم، وربما يشاهدونها في وسائل الإعلام، ولكنها تتبلور وتنضج وتعدل في جماعة الرفاق، ولذلك هناك من الانحرافات الاجتماعية من يشترك فيها جماعات من المراهقين، ومن هذا المنطلق أطلق اسم "**العصبة**" على جماعات الشباب الجانحة، وفي هذه الحال تعتبر جماعة الرفاق كعامل مساعد ومشجع على الانحراف، والفرد الذي لا يتمرس على الانحراف يعد في نظر الجماعة ناقص الشجاعة، وفاقد الشخصية وضعيفا وخائفا، وغيرها من الأوصاف التي تطلقها الجماعة على أفرادها المترددين[1]، فالسلوك العدواني نتيجة طبيعة لعدوانية الجماعة وجنوحها، فهي تنشأ أفرادها على العدوانية، والاعتداء على الآخرين، وتجاوز القيم والنظم الاجتماعية القائمة، ويظهر ذلك بوضوح في جماعات جنوح الأحداث.

3– مظاهر السلوك المنحرف لدى الأحداث.

للسلوك المنحرف مؤشرات هي عبارة عن أعراض تظهر في سلوك الحدث، وتدل إن توفرت فيه أنه يسير في طريق الانحراف والجنوح، وهذه المظاهر هي:

_ سوء السيرة المدرسية، سرقة الأشياء المعروضة، الاعتداء على الغير، تناول المسكرات والمخدرات، استخدام الأسلحة لسرقة السيارات، أعمال السطو والسرقة مع اللجوء إلى العنف والتخريب المتعمد للممتلكات العامة والخاصة، وهناك من يضيف الكذب المرضي المزمن، التزييف، التسول، السلوك الجنسي المنحرف، التشرد.

_ كما تجمع البحوث الدراسات المهتمة بالجنوح والانحراف على أن هناك مجموعة من الخصائص التي يتصف بها الأحداث المنحرفون أو الجانحون، والتي تميزهم عن غير الجانحين في مثل سنهم ويمكن حصر هذه الخصائص في النقاط التالية: يوصف الأحداث المنحرفون عموما بالحركة الدائمة، والنشاط الزائد، الاندفاعية والعدوانية دون إبداء أي اهتمام بالآخرين، التحدي والحقد والعداء والتهور والتمرد على السلطة، الميل إلى التعبير الفعلي والمباشر، بدلا من التعبير الرمزي في حل مشكلاتهم، الحساسية الشديدة وغير العادية اتجاه الآخرين المتسمة بالتوتر النفسي والخوف.

_ الحالات الانفعالية بما يصاحبها من تغير في الشعور نحو شخص معين، نتيجة التعارض بين الرغبات، مثل التغير الذي يطرأ على الحالة المزاجية من انقباض نفسي وشعور بالحزن واليأس.

---

[1] عامر مصباح، **التنشئة الاجتماعية والانحراف الاجتماعي**، القاهرة، دار الكتاب الحديث، 2010،ص 233.

_ وجود الحالة القهرية للطموح والتفوق، ويمكن الاستدلال على وجود مثل هذه النزعة في اللاشعور من سرور الحدث بأي تقدير، وخوفه من الفشل.

_ ظهور ميول واتجاهات شاردة، كتعرض مبكر لمرض نفسي، فقد يتجه الحدث إلى العزلة والانطواء والرغبة في الظهور وإثبات الذات[1].

في هذا الصدد تشير الباحثة "**جازيلا كونوبكا، Konopka** " سنة 1966 في كتابها "**المراهقة في صراع**" أن أسباب انحراف الإناث يتمثل في التنشئة الاجتماعية وجماعة الرفاق فجذور أو أسباب الانحراف تتمثل في عاملين وهما الشك والوحدة، حيث ترى أن الفتاة في مراهقتها بحاجة إلى القبول والعطف والاعتراف من قبل العائلة والأقرباء والأصدقاء، ولكن إذا تضررت روابط الصداقة مع هؤلاء، فستلجأ الفتاة إلى أناس تشبع من خلالهم رغباتها الجنسية، وبذلك تقاوم العزلة، وإذا ما حاولت الرجوع إلى الأهل والأقرباء، سوف تقابل بالرفض، وبالتالي سوف تعاني أكثر وتشعر بالدونية[2].

ومن بين أهم السلوكيات المنحرفة التي قامت بها المبحوثات محل الدراسة الميدانية رغم صغر سنهن إلى أن سلوكياتهن كانت خطيرة، فأغلبهن تعاطين المخدرات بمختلف أنواعها، كما أن أغلبهن قمن بعلاقات جنسية غير شرعية إما في إطار علاقة عاطفية، أو من أجل كسب المال من خلال ممارستهن للدعارة، ومعظمهن بدأن في هذه السلوكيات المنحرفة في سن مبكرة، فالبعض منهن تعاطين المخدرات، وأقمن علاقات جنسية غير شرعية في سن 13 سنة، وإقبالهن على هذه السلوكيات المنحرفة راجع إلى البيئة الاجتماعية المنحرفة التي نشأن فيها، ومخالطتهن لرفاق منحرفين.

وفيما يخص السلوكيات المنحرفة المنتشرة داخل مركز إعادة التربية نذكر ما يلي:

_ **الوشم**: وهو عبارة عن رموز لها دلالات مختلفة، تقوم القاصرات برسمهن على مواضع معينة من أجسامهن، بوسائل بسيطة تتمثل في إبرة، وحبر أخضر؛ ومن بين أكثر الوشوم انتشارا داخل مركز إعادة التربية للبنات بالبليدة، هو وشم ثلاثة نقاط الذي يوشم على مستوى اليد ويعني "ضد الدولة" أو "ضد القانون" وهو يعبر على أن صاحب هذا الوشم متمرد على قانون الدولة ولا يحترمه ولا يقر به.

يعتبر لجوؤهن للوشم إعلان عن القطيعة مع المجتمع، ويبرز ذلك من خلال رمزية الوشم، على أساس انقطاعهم عن الالتزام بالعقد الاجتماعي لمجتمعهم، وأنهن غير ملتزمين أخلاقيا وقيميا بما هو قاعدة مرجعية فيه، ويدل اللجوء إلى الوشم على فقدان هوية الانتماء للمجتمع، وضعف العصبة العاطفية داخل الأسرة، وعدم تحقيق التواصل مع الإطار السلوكي العام للمجتمع.

---

(1) إسماعيلي يامنة، **سمات الشخصية لدى الجانحين**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015، ص 126.

(2) الوريكات عايد عواد، **نظريات علم الجريمة**، ط2، عمان، دار وائل للنشر، 2013، ص 414.

_ **تقطيع الجسد بأدوات حادة:** وهي ظاهرة منتشرة بكثرة داخل مركز إعادة التربية، حيث أن أغلب المبحوثات يحملن آثار جروح متفاوتة الطول والعمق والقدم، على طول أذرعهن، وأغلبهن قمن بذلك بعد مشاهدتهن لرفيقاتهن داخل المركز يقمن بذلك، حيث تأخذ القاصرة آلة حادة كشفرة علاقة أو قطعة زجاج، وتبدأ بالتقطيع على مستوى ذراعها أو في منطقة أخرى من جسدها، وحسب تصريحات المبحوثات اللواتي قمت بمقابلتهن فالسبب الذي يدفعهن إلى فعل ذلك هو إحساسهن بالإحباط والغضب الشديد نتيجة للضغوطات التي يمرون بها داخل المركز في ظل التهميش والعزلة، فيجدون في هذه العملية تنفيس عن هذه المشاعر، حيث أن الألم الذي ينجر عن هذه العملية ينسيهن ولو لوقت قصير عن الألم النفسي الذي يعيشونه، فحسب تصريحاتهم أن معاناتهم من الألم النفسي أكثر حدة بكثير من ألم تقطيع الجسد.

كما أن تشويه الجسد بهذه الطريقة هو عبارة عن انتقام من صورة الجسد، حتى تكون تعبيرا أوليا عن نكران الذات، كما أنهن يبعثون برمزية عدم وضع الجسد تحت إطار القيمة الاجتماعية لأخلقية الجسد، إضافة إلى جعله تأريخا حدثيا للنوبات أو المواقف الشديدة التي مررن بها، والتي تبقى محفورة في ذاكرة الجسد.

_ **السحاق:** وهو أن تقوم أنثى بممارسة الجنس مع أنثى أخرى، وهذه الممارسة منتشرة بكثرة داخل مركز إعادة التربية حسب تصريح المبحوثات اللواتي قابلتهن، حيث أن بعضهن كن يمارسن ذلك، وهذا راجع حسب رأي البعض منهن إلى وقت الفراغ داخل المركز، ففي البداية يكون عبارة عن فضول وتمضية للوقت، ولكن بعد ذلك يتحول عند البعض منهن إلى شذوذ جنسي لا يستطعن التوقف عنه، وترجع أخريات السبب إلى اعتياد بعض القاصرات على الممارسة الجنس خارج المركز، وبدخولهن إلى المركز لا يجدن من سبيل لتلبية الغريزة الجنسية سوى في عملية السحاق، وأكدت لنا بعض المبحوثات أنه بمجرد دخول قاصرة جديدة إلى المركز تذهب إليها الفتيات وتطلبن منها ممارسة السحاق معهن مقابل عدم أذيتها، وحمايتها من اعتداءات القاصرات الأخريات.

4– الدراسة الميدانية:

4_1_ المنهج المستخدم في الدراسة: الدراسة العلمية تفرض على الباحث اختيار منهج بحث خاص بدراسته يعتمد عليه من بداية بحثه إلى غاية نهايته، ولقد اعتمدنا في دراستنا على المنهاج التالية:

_ **منهج دراسة حالة:** هو المنهج الذي يتجه إلى الدراسة المعمقة لحالة فردية واحدة، أو مجموعة من الحالات التي تنتمي إليها الحالة، وذلك من أجل الوصول إلى معرفة دقيقة لتفاصيل ظروف هذه الحالة والعوامل المختلفة المتفاعلة في التأثير فيها[1]، لقد اعتمدنا على هذا المنهج نظرا لغياب قاعدة سبر كافية، ولهذا قمنا بدراسة الحالات الموجودة داخل مركز إعادة التربية للبنات بن عاشور _ البليدة _

[1] محمد خليفة بركات، **مناهج البحث العلمي**، الكويت، دار العلم، 1984، ص 17.

وذلك بالتركيز على كل حالة بمفردها، وقد تم تطبيقه على 17 حالة من الأحداث المنحرفين، تم تحليل كل حالة على حدا ثم التركيب بينها للوصول في الأخير إلى مقارنتها عن طريق نتائجها، وبالتالي الوصول إلى نتيجة واضحة ودقيقة بشأن كل حالة في تحديد الأسباب والظروف التي دفعت بها إلى القيام بالسلوكيات المنحرفة.

_ **المنهج الوصفي التحليلي:** اعتمدنا على هذا المنهج من خلال دراستنا الاستطلاعية والميدانية التي حددت لنا مختلف أبعاد وجوانب الموضوع المدروس، وعليه فقد كانت دراستنا وصفية تحليلية بإتباع هذا المنهج، الذي يعتمد على الطريقة الكمية والكيفية في معالجة المعطيات، "فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح لنا خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفا رقميا، ويوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى"[1] .

4_2_ التقنيات والأدوات المنهجية المستخدمة في الدراسة: اعتمدنا في هذه الدراسة على وسائل وأدوات منهجية مختلفة ساعدتنا في التعرف على أنماط السلوكيات المنحرفة التي يقدم عليها الأحداث، وهذه الأدوات هي كالتالي:

_ **الملاحظة:** لقد اعتمدنا دراستنا الميدانية بمركز إعادة التربية للبنات على الملاحظة المباشرة، حيث مع مرور الوقت، وبتواجدي مع المبحوثات وكسب ثقتهم، وعدم التركيز فقط على طرح أسئلة حول موضوع الدراسة بل تبادل أطراف الحديث معهن حول مواضيع من اقتراحهن، جعلهن يتصرفن على طبيعتهن حين تواجدي داخل المركز، مما ساعدني على ملاحظة بعض التصرفات والسلوكيات التي يقمن بها داخله.

_ **المقابلة:** إن المقابلة تقنية بحث هامة تسمح باكتشاف أراء المبحوث وتصوراته في ظل تلك العلاقة التفاعلية معه حول موضوع البحث[2]، هذا وتختلف أنواع المقابلة من مقابلة مقننة وأخرى غير مقننة، وقد اعتمدنا في دراستنا على المقابلة المقننة، وذلك باستعمال دليل المقابلة الذي يعتبر أداة لجمع المعطيات، وفيه تكون أسئلة المقابلة محددة من قبل، وتوجه للمبحوث الأسئلة والعبارات بنفس الصياغة والترتيب[3] حسب محاور الدراسة، وحاولنا قدر الإمكان أن تكون الأسئلة مفهومة ومبسطة تشرح للمبحوثات حتى يتمكنوا من فهمها، ثم نقوم بتسجيل أقوالهن كما هي دون أن نتدخل في توجيههن، أو توجيه أجوبتهن، واستعملنا الهاتف النقال في عملية التسجيل في معظم الحالات، وفي حالات أخرى استخدما التدوين على الورق لرفض بعض المبحوثات عملية التسجيل.

4_3_عينة الدراسة: اعتمدنا في دراستنا الميدانية على العينة العمدية، والتي يمكن أن نعرفها على أنها

---

(1) بوحوش عمار والذنيبات محمد، **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 139.

(2) سبعون سعيد وجرادي حفصة، **الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع**، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2012، ص 173 .

(3) غريب محمد سيد، **تقسيم وتنفيذ البحث الاجتماعي**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1993، ص121.

"اختيار كيفي من طرف الباحث للمستجوبين استنادا إلى أهداف بحثه، ولا يتم اختيار المبحوثين من خلال الجدول العشوائي أو القرعة"[1]، فوحدات البحث يختارها الباحث بشكل عمدي، فعند نزوله إلى ميدان البحث يختار المفردات التي يعتقد أنها تخدم بحثه، بحيث تتوفر فيها الخصائص والمميزات التي يكون حددها مسبقا، لذلك توجهنا إلى مركز إعادة التربية للبنات بين عاشور ولاية البليدة، بحكم أن القاصرات الموجودات به دخلن إليه بسبب قيامهن بسلوكيات منحرفة، وأثناء فترة زيارتنا إلى المركز من أجل إجراء البحث الميداني تمكنا من دراسة 17 حالة تتوفر فيها شروط عينة بحثنا.

4_4_ المجال الزمني للدراسة: بعد حصولنا على ترخيص من مديرية النشاط الاجتماعي لولاية البليدة " DAS " على إجرائنا للبحث على مستوى مركز إعادة التربية للبنات بين عاشور بالبليدة، وبعد إتمام الإجراءات الإدارية، تم ضبط موعد لنا للبداية في إجراء البحث الميداني والتي امتدت مدة شهر من 04 /2015/01 إلى غاية 2015/02/04 قمنا خلالها بمقابلة أفراد العينة داخل المركز.

4_5_ المجال المكاني للدراسة: لقد تمت الدراسة الميدانية في مركز إعادة التربية للبنات بين عاشور ولاية البليدة، حيث توفر فيه عدد مقبول وكافي من أفراد العينة لإجراء دراسة حالة عليهن، كما أنهن ينحدرن من مختلف ولايات الوطن، والبعض منهن كنا متواجدات في مراكز أخرى، وتم تحويلهن إلى هذا المركز، وقد صرحن لنا أن الظروف متشابهة تقريبا في كل المراكز.

الجدول رقم (01) يوضح توزيع المبحوثات حسب نمط السلوكيات المنحرفة التي قاموا بها خارج المركز.

[1] معن خليل عمر، **مناهج البحث في علم الاجتماع**، عمان، دار الشروق، 1997، ص 208.

الحالات / السلوك المنحرف	ح 1	ح 2	ح 3	ح 4	ح 5	ح 6	ح 7	ح 8	ح 9	ح 10	ح 12	ح 13	ح 14	ح 15	ح 16	ح 17	ك	%
علاقة جنسية		x	x		x	x	x	x	x	x	x		x	x	x	x	13	33.33
تعاطي المخدرات		x	x	x		x	x				x				x		07	17.94
ترويج المخدرات															x		01	02.56
سرقة			x														01	02.56
محاولة انتحار	x				x	x					x						04	10.25
هروب من المنزل				x	x	x									x		04	10.25
التدخين		x	x	x		x	x				x	x	x		x		09	23.08
المجموع																	*39	100

* نلاحظ أن الرقم (39) أكبر من عدد أفراد العينة وهذا راجع إلى تعدد السلوكيات المنحرفة التي قامت بها المبحوثات.

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن المبحوثات اللواتي تمثلت سلوكياتهن المنحرفة في ممارسة الجنس جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 33.33% من مجموع السلوكيات المنحرفة، تليها في المرتبة الثانية نسبة 23.08% من المبحوثات يدخنون، تليها في المرتبة الثالثة نسبة 17.94% من المبحوثات يتعاطين المخدرات، أما المرتبة الرابعة نجد نسبة 10.25%من المبحوثات حاولن الانتحار، وهي نفس النسبة عند المبحوثات اللواتي هربن من المنزل، ونجد في المرتبة الخامسة والأخيرة نسبة 56.02 % وهي تمثل مبحوثة واحدة قامت بترويج المخدرات، وهي نفس النسبة لمبحوثة قامت بالسرقة.

نستنتج من خلال الجدول أن السلوك المنحرف الأكثر انتشارا بين المبحوثات هو ممارستهن للجنس في إطار علاقة غير شرعية، وقامت به معظمهن في إطار علاقة عاطفية، ومن أهم العوامل الاجتماعية التي تساعد على انحراف القاصرات ما قد يتعرضن له في هذه المرحلة من تشرد وفقر وجهل وغياب للقدوة الحسنة، ومصاحبة رفاق منحرفين، فعندما تصادف هذه العوامل ما يصيبهن في هذه المرحلة العمرية من اضطرابات نفسية وتغيرات فسيولوجية، مع عدم النضوج الذهني، والرغبة الجارفة في الاستمتاع بالحياة، كل ذلك يدفعهن إلى ارتكاب السلوكيات المنحرفة، ولذلك نجدهن يبحثن عن إشباع نزواتهن وغرائزهن باللجوء إلى التدخين تعاطي المخدرات، وكذلك الدخول ممارسة الجنس رغبة في إشباع غريزتهن في هذه المرحلة المضطربة جنسيا، كما أنهن قد يلجأن إلى ارتكاب جرائم الاعتداء على الأشخاص خاصة التشاجر مع الغير، وهذا قد يعوض لديهن شعورا بالحرمان مما يجدهن متوفرا لدى الآخرين[1].

إذن التنشئة الاجتماعية الخاطئة التي تلقتها بعض المبحوثات، ومخالطتهن لرفاق منحرفين الذين شجعوهن على مثل هذه الممارسات، وحاجتهن إلى شخص يعوضهن عن العاطفة والاهتمام الذي فقدوه في أسرهن، جعلهن يقعن ضحية استغلال بعض الشباب لظروفهن، وإقامة علاقة جنسية غير شرعية معهم، أدت بأغلب الحالات إلى فقدان عذريتهن التي تمثل رمز العفاف والشرف والطهارة في مجتمعنا الجزائري، كما أن هناك نسبة معتبرة من المبحوثات أقدمن على التدخين وتعاطي المخدرات، حيث أن المبحوثات يبدؤون في التدخين أولا كنوع من التقليد والفضول، بسبب مشاهدتهن لهذه السلوكيات في أسرهن، أو يتم ذلك بتشجيع من جماعة رفاقهن، ليتطور هذا الفعل عند أغلبهن إلى تعاطي المخدرات، خصوصا إذا علمنا أن أغلب الحالات اللواتي مارسن الجنس كان ذلك مع شباب يتعاطون المخدرات، وهو ما سهل عليهن الحصول عليها وتجريبها، ومن ثم الإدمان عليها، كما نجد أن نسبة معتبرة من المبحوثات حاولن الانتحار بتقطيع شرايين أيديهن، أو هربن من المنزل وهذا راجع إلى المشاكل الأسرية وما يترتب عنها من ضغوطات نفسية، وتجدر الإشارة إلى أن مرحلة المراهقة التي تمتد من الثانية عشر إلى الثامنة عشر، وأهم ما يميزها

(1) بشير سعد زغلول، **دروس في علم الإجرام**، القاهرة، دار النهضة العربية، 2006، ص 78.

هو البلوغ الجنسي بما يصاحبه من نمو جسدي وذهني وتغيرات نفسية نتيجة الزيادة في إفرازات الغدد، هذه التغيرات البيولوجية والفيسيولوجية، علاوة على ما يصاحبها من اتساع مساحة العلاقات الاجتماعية للقاصرات، وتنوع الوسط البيئي والاجتماعي الذي يتعاملن معه، تزيد من نسبة ارتكاب الجريمة، هذا من ناحية الكم، أما من ناحية الكيف فإن جرائمهن في هذه المرحلة تدور حول ارتكاب جرائم الأموال، وكذلك ارتكاب الجرائم الجنسية والأخلاقية[1].

ما يمكن استنتاجه كذلك أن أغلب المبحوثات قمن بأكثر من سلوك منحرف، فالعديدات منهن مثلا مارسن الجنس، وقمن بالتدخين وتعاطي المخدرات، وهذا راجع إلى طبيعة الوسط المنحرف الذي تواجدن فيه والمتمثل في جماعة الرفاق المنحرفين، حيث تجتمع فيه جميع هذه السلوكيات المنحرفة، وبالتالي إمكانية القيام بها معا، تجدر الإشارة في الأخير أن الحالة رقم (11) لم تدخل في الجدول لأنها لم تقم بسلوكيات منحرفة خارج المركز، فسبب دخولها إليه كان بسبب الاعتداء الجنسي عليها من قبل الأب البديل، وما صاحبه من صدمة نفسية، وبالتالي قرر قاضي الأحداث بعد شفائها أن يدخلها مركز إعادة التربية.

الجدول رقم (02) يوضح توزيع المبحوثات حسب نمط السلوكيات االمنحرفة التي قاموا بها داخل المركز.

[1] بشير سعد زغلول، مرجع سابق، ص 75.

الحالات / السلوك المنحرف	ح 1	ح 2	ح 3	ح 4	ح 6	ح 7	ح 8	ح 11	ح 12	ح 13	ح 14	ح 15	ح 16	ك	%
السحاق			x	x	x	x					x		x	06	17.14
تدخين	x	x	x	x	x	x		x	x	x	x		x	11	31.42
تقطيع الجسد	x		x	x	x	x	x	x			x	x	x	10	28.57
الوشم			x	x	x	x		x			x	x	x	08	22.86
المجموع														35*	100

*نلاحظ أن الرقم (35) أكبر من عدد أفراد العينة، وهذا راجع إلى تعدد السلوكيات المنحرفة التي قامت بها المبحوثات.

نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة المبحوثات اللواتي يدخنون جاءت في المرتبة الأولى بنسبة 31.42% من مجموع السلوكيات المنحرفة، تليها في المرتبة الثانية نسبة 28.57 % من المبحوثات قمن بتقطيع أجسادهن، في حين نجد في المرتبة الثالثة ما نسبته 22.86% من المبحوثات قمن بالوشم على أجسامهن، في حين نجد في المرتبة الرابعة والأخيرة نسبة 17.14% من المبحوثات كن يمارسن السحاق.

نستنتج من خلال الجدول أن السلوكيات المنحرفة داخل المركز تختلف عن السلوكيات المنحرفة خارجه، حيث تختفي بعض السلوكيات المنحرفة نظرا لطبيعة التواجد في هذه البيئة المغلقة (المركز) وتظهر سلوكيات منحرفة أخرى كنوع من التكيف مع هذه البيئة، ولكن نلاحظ على العموم تقارب في النسب بين جميع السلوكيات المنحرفة، والملاحظ كذلك أنه تقريبا نصف هؤلاء المبحوثات صرحت بقيامهن بجميع هذه السلوكيات المنحرفة معا.

إذا عدنا إلى ظاهرة تدخين المبحوثات، فهذا السلوك منتشر داخل المركز وأغلب المبحوثات تقمن به خارجه، ويعتبر عند البعض منهن كطريقة للتعويض عن تعاطيهن للمخدرات التي يصعب الحصول عليها داخل المركز، وتجدر الإشارة أن المبحوثات صرحن أنهن يحصلن على السجائر عن طريق عمال المركز، أو عن طريق زميلاتهن في المركز اللواتي يزاولن الدراسة خارجه، أو يجلبونها معهم عند ذهابهن في الرحلات التي ينظمها المركز، كما أنهن تقمن كذلك بجمع ما تبقى من سجائر العمال المتواجدة في الساحة، كما أكدت المبحوثات أن السجائر متوفرة دوما داخل المركز، وتضطر بعض القاصرات إلى شرائها من رفيقاتهن بسعر 50 دينار للسيجارة الواحدة.

أما فيما يخص تقطيع الجسد بأداة حادة (شفرة حلاقة، قطعة زجاج...) فهذا السلوك هو الآخر منتشر داخل المركز، فالعديد من المبحوثات تظهر عليهن أثار الجروح على طول أذرعهن وصرحت المبحوثات أن هذا السلوك تعلمنه داخل المركز بعد مشاهدة زميلاتهن يقمن بذلك، ويلجأن إلى ذلك في حالة الإحباط الشديد، أو في حالة الغضب الشديد، فيعتبر إيذاء الذات بتشويه الجسد تعبير عن نكران الذات، وكنوع من الانتقام من أنفسهن، ودليل على رفض واقعهن، كما صرحت بعض المبحوثات أن الألم الجسدي الذي تتسبب به عملية التقطيع، ينسيهن ويلهيهن ولو مؤقتا عن المعاناة والألم النفسي الذي تشعرن به حيال وضعيتهن.

أما فيما يخص الوشم، وهو منتشر بين المبحوثات، والذي تعلمنه داخل المركز من رفيقاتهن، هو عبارة عن رسوم، ورموز تدل على مكنوناتهن وعلى مشاعرهن، وهناك بعض الوشوم أكثر انتشارا بين المبحوثات، وهي وشم نقطة واحدة على مستوى اليد والتي تدل على الوحدة "وحدانية "، وشم ثلاث نقاط وهو تعبير عن رفضهم لقانون الدولة "ضد الدولة"، ووشم أربعة نقاط حيث تشير كل نقطة إلى الشعار التالي " لا أب، لا أم، لا قفة،

لا زيارة " وهي تدل على أنهن يشعرن بالاغتراب فلا أحد يهتم لأمرهن أو يأتي لزيارتهن.

أما فيما يخص السحاق فقد أكدت لنا المبحوثات أنه منتشر بين القاصرات داخل المركز، ولكن نظرا لطبيعة وحساسية هذه الممارسة فإنه يلفها الكثير من التكتم والسرية، ولذلك هناك العديد من المبحوثات أنكرن ممارستهن للسحاق رغم تأكيد رفيقاتهن قيامهن بذلك، وحسب تصريحات المبحوثات أن السحاق هو عبارة عن تعويض لممارسة الجنس مع أصدقائهم الذكور، خصوصا وأنهن اعتدن على ذلك، ولا سبيل داخل المركز لتلبية الغريزة الجنسية إلا بممارسة السحاق، وتأكد المبحوثات أن قيامهن بالأمر كان مجرد فضول وتجريب، ليتحول بعد ذلك إلى عادة يومية.

ونشير في الأخير أن هناك أربعة حالات وهن (ح5، ح9، ح10، ح17) لم يرد ذكرهن في الجدول لأنهن حسب تصريحاتهن لم يقمن بسلوكيات منحرفة داخل المركز، لأنهن لا يردن أن تسوء حالتهن أكثر مما هي عليه، فهن يتجنبن مخالطة القاصرات المنحرفات داخل المركز.

خاتمة:

رغم الإمكانيات المتوفرة داخل مركز إعادة التربية سواء من حيث الميزانية أو البرامج أو الطاقم البشري العامل على تسييره، إلا أن النتائج على العموم لا ترقى إلى الأهداف المرجوة من إنشائه، حيث يلاحظ أن نسبة كبيرة من الأحداث الذين يدخلون إلى المركز لتلقي برامج تأهيلية، يتأثرون من خلال مخالطتهم لأحداث منحرفين آخرين بسلوكياتهم، وبدل التخلص من انحرافهم فإنهم يتعلمون سلوكيات انحرافية جديدة قد تكون أكثر خطورة من تلك التي تعلموها خارج المركز، وبالتالي يتحول المركز من مكان لإعادة التأهيل إلى مدرسة لتعلم السلوكيات المنحرفة، كما أن غياب الرعاية اللاحقة لهؤلاء الأحداث بعد مغادرتهم المركز يعد أكبر عائق أمام اندماجهم اجتماعيا ولذلك يجب متابعة حالاتهم وتوفير بيئة اجتماعية ملائمة لهم تساعدهم على الابتعاد عن الانحراف والجريمة.

قائمة المراجع:

_إسماعيلي يامنة، **سمات الشخصية لدى الجانحين**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015.

_ بشير سعد زغلول، **دروس في علم الإجرام**، القاهرة، دار النهضة العربية، 2006.

_ بوحوش عمار والذنيبات محمد، **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.

_ جلال الدين عبد الخالق، **الجريمة والانحراف الحدود والمعالجة**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999.

_ سامية حسن الساعاتي، **الجريمة والمجتمع**، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1982.

_ سبعون سعيد وجرادي حفصة، **الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع**، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2012.

_ عبد القادر قواسمية، **جنوح الأحداث في التشريع الجزائري**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992.

_ علي محمد جعفر، **الإجرام وسياسة مكافحته**، بيروت، دار النهضة العربية، 1993.

_ عبد القادر قهوجي، **علم الإجرام وعلم العقاب**، الإسكندرية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، 1987.

_ غريب محمد سيد، **تقسيم وتنفيذ البحث الاجتماعي**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1993.

_ فتيحة كركوش، **ظاهرة انحراف الأحداث في الجزائر**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011.

_ محمد طلعت عيسى، **الرعاية الاجتماعية الأحداث المنحرفين**، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، 1998.

_ مصباح عامر، **التنشئة الاجتماعية والانحراف الاجتماعي**، القاهرة، دار الكتاب الحديث، 2010.

_ محمد خليفة بركات، **مناهج البحث العلمي**، الكويت، دار العلم، 1984.

_ معن خليل عمر، **مناهج البحث في علم الاجتماع**، عمان، دار الشروق، 1997.

_ الوريكات عايد عواد، **نظريات علم الجريمة**، ط2، عمان، دار وائل للنشر، 2013.